

# في بيتنا مستبد!

يسكن الاستبداد بلدنا وحارتنا ويسكن بيتنا، من أين نبدأ ومن أين ننطلق، المهمة عسيرة والمسؤولية تنوء بحملها الجبال، ثلاثية التشخيص للمرض وهي ثلاثية الإصلاح، ليس حديثنا جديداً، فمرض حضارتنا يبقى كما أثبتته تاريخنا، الاستبداد ولا غير الاستبداد، مصطلح يكاد يرمز إلينا في كل نواحي حياتنا، ويكاد يضاهاى عنواننا لنا في حراكنا وعيشتنا فكلما تحدثت عن الاستبداد ظهر الشرق لافتته وإطاره، وكلما تحدثت عن نقيضه ظهرت عناوين من غير ضفتنا، هذا قدر أمسنا وحاضرنا ولعله لن يكون قدر مستقبلنا.

## خالد الطراولي

المناطق التي تحيط بقلنا ونظرنا سوداء مظلمة، بلدنا كهوف، وحارتنا دهاليز، وبيتنا ظلمات من فوقها ومن تحتها، هذه هي حالنا ونحن نبحث عن مواطن الاستبداد في حياتنا، ولعل منحى الاستبداد ومنطقه يظل عالقا في مخيلة الفرد العربي والمسلم بالسلطة وحواسيها، خيمة السلطان هي حلقة الاستبداد وأوتاده العريضة، ولعل العقل العربي محق في ذلك فهو ولد في أحضان الاستبداد ورضع لبنه وعاش في كنفه منحني الظهر حتى مات...

تاريخنا الرمادي كان كذلك في بعض ثناياه، وحاضرنا يسير على نفس الخطى وينفس الوتيرة وإن كان المعيش أعظم! لكن استبداد السلطة أصبح يعيشه الفرد ويتعايش معه حتى نطّر بعضهم لأهميته في رفاها روحا ومادة، فجعلوا الحكم الغشوم خير من فتنة تدوم، وألحقت على ضفاف هذا التبرير أمثال ونصائح وقواعد وفتاوى، وعمل الحاكم المستبد على توطين هذه القابلية للاستبداد في عقلية الفرد الرعية في تاريخنا أولا، ثم الفرد المواطن في حاضرنا، ولعله نجح! ومن القابلية جاء القبول والتواطؤ والتعايش، وبقيت الرعية مغلوطة على أمرها، وضاعت المواطنة وقيمتها بين دساتير واهية ومتغيرة حسب اتجاه قبلة مزورة، وبين انتخابات مغشوشة وتوريث عجيب للحكم.

تذكروا يا أبنائي (هذا) واحفظوه:

إن الحكومات المستبدة شر من الوحوش المفترسة " هذا ما قاله كونفوشيوس فيلسوف الصين القديمة، ولعل حاضرنا لا يزال يتخبط في هذه الأحوال التي تشده القهقري، لتبقى هذه المقولة تصطبغ يومنا وتقتض مضاجعنا وتكبل نهوضنا وتأخر يقظتنا.

## استبداد واستبداد

لكن الاستبداد حتى وإن تعلق في الفهم والإشارة بمناطق الحكم والوزارة، فإنه لم يبق أسيرا لهما، فقد ظل الاستبداد متمكنا في أطراف المجتمع وصال وجال عبر أزقته الضيقة ودهاليزه، فكان استبداد رب الأسرة، واستبداد صاحب العمل واستبداد السيد... الرجل يستبد على زوجته، ولعل الزوجة تستبد على زوجها أولو

بشأن أقل، وإن كنا بدأنا نسقم في بلاد العرب بجمعيات تدافع عن الأزواج ضد عنف الزوجات!، والوالد مستبد على أبنائه، يحاضر بعضهم عن حقوق الإنسان من حرية كلمة ورأي وهو في بيته يمنع الكلمة ولا يقبل رأيا من أحد "اسكت يا ولد فأنت لا تفهم"...

المسألة معقدة ولا شك ولكنها درجات ومستويات ويخيل إلينا أن جانب الاستبداد الرجالي هو الحالة الطاغية والمهيمنة.. استبداد الرجل في بيته وجعل من ذكوره أداة وحجة في العلو والتكبر، وجعل من قوامته آلية لاستضعاف المرأة والحلول دون مشاركتها في أطر الاستخلاف التي نادى بها دينها، فكانت

## ستذكروا يا أبنائي (هذا) واحفظوه:

إن الحكومات المستبدة شر من "الوحوش المفترسة" هذا ما قاله كونفوشيوس فيلسوف الصين القديمة، ولعل حاضرنا لا يزال يتخبط في هذه الأحوال التي تشده القهقري، لتبقى هذه المقولة حاضرة

ألوان الغير أكثر من ألواننا؟ فكان الاستبداد قهوة الصباح والمساء، نعيشه في لحاف الليل و أطراف النهار، نحمله معنا في السوق، نصطحبه في الطريق، ندخل به المدرسة أو المصنع أو المزرعة ونجعله الرفيق والساحب والدليل! وكما تكونوا يولي عليكم، ومن استبداد الكوخ ظهر استبداد القصر، ومن غلبة الفرد الزوج ظهر استبداد الفرد الحاكم، ومن ظلم المحكوم واستبداده تجاه محكوم آخر، ظهر ظلم الحاكم واستبداده على الجميع!

## من استبداد القصر إلى استبداد الكوخ

أكاد أجزم بأنه قبل أن ندخل خيمة السلطان، فخيمنتنا قائمة إلى جانبه، منها انطلقنا في هذا البحر اللجج لنرى ما حولنا وإليه نعود، في بيتنا استبداد، وفي بيتنا مستبد، والاستبداد ليس جينات تتوارث، فلم يظلم الله أحدا وعقلية تبني وثقافة تشيد ثم تربي عليها أجيال وتطعمها وهي ما زالت في المهدي. من هنا مر الاستبداد ومن هنا خيبت أئوابه.

إن ثقافة الاستبداد وتشكل عقلية تولد ولا شك مجتمع الاستبداد وحاكما مستبدا، فمن رحم هذه العقلية نشأ المستبد وترعرع وإن تدخلت على الخط أطراف جديدة داخلية وخارجية، نفسية وجماعية، ولا شك أن أسرة الشورى ومجتمع الديمقراطية يولدان ثقافة الشورى والمواطن الديمقراطي والحاكم العادل، ولكن مع وجود المؤسسة الحامية والقوانين المحددة التي تكبح الزيغ والانحراف مهما علت أصوات المغالين والمتزلفين.

لكن في المقابل فإن الحاكم المستبد وهو يتبختر في عليائه ويتجاوز دستورته إن وجد وقوانينه، ويركض في إطار مفرغ من أي التزام أو مطالب، يمثل نموجا وقذوة سيئة لعقلية مستضعفة ومواطنة مغشوشة، وسإذا كان رب البيت للطليل ضاربا فلا تلم الصبيان فيه على الرقص " فيقع المحظور وتنشأ أو تتجذر ثقافة وعقلية الاستبداد لدى الخاصة والعامة من الناس. ويزداد الطين بلة إذا تحصنت هذه الثقافة ولقيت دعمها من فقه ميبتر وعلم مغشوش وحواشي كتب صفراء واهية ومن فقهاء الحاشية والولائم الخاصة.

إن القراءتين تتواريان ولا شك، بين حاكم جائر وقد ولدته ثقافة قومه، وبين شعوب اغترفت من استبداد سلطانتها واستبدت بغيرها، وحتى لا

عقلية الراعي والرعية التي استعملها الحاكم سلبا لنزع ثوب المواطنة عن شعبه، متمثلة في البيت الأسري عبر رب نسي قيم المساكنة والمشاركة والنفس الواحدة، إلى فهم عقيم لمسؤولية الراعي تجاه رعيته، فتضخمت الأنا وهيمنت القوامة وأضحت الأسرة عرجاء لتعطي مجتمعا أعرج.

واستبد صاحب العمل وضاعت حقوق الناس ودخلت الرشى والمحسوبية وظلم الأجير وتقطرت جبينه عرقا دون الحصول على كامل مستحقاته. وانظروا إذا أردتم إلى أحوال عديد من الأجراء المهاجرين أو الخادما العاملات في المنازل في بعض بلاد العرب فسوف ترون العجب وتنتبهون إلى أنكم وإياهم ترون دينا وقبما تثنى العدل وتحرم الظلم، ولكنهم أودعوه المقابر ومنازل المنسيات والمرميات...

واستبد الأستاذ بتلاميذه، حتى إنني قرأت - وهو من أعجب ما قرأت - أن محاضرا في إحدى الجامعات العربية، وهو المرابي وحامل رسالة الوعي الثقافية والتحضر، لم يترك صنفا من

البيئات إلا نادى به طلبته. واستبد السيد بعبيده ووجد مسندا فقها في تلازم الإسلام مع الاستعباد وهو منه براء فما خلا كتاب فقه من باب في علاقة العبد بسيد، وكأنه باب طبيعي ثابت ثبوت الحضانة والرضاعة والصلاة... وضاعت القيم والقرانين في ظل فتاوى مهزوزة وأفهام للدين وروحه قاصرة وغريبة...

لكن سؤالا يبقى يتردد: هل المنطلق لهذا الاستبداد المتمكن في أوصالنا ونلمسه في كل حركة من ذواتنا، كان خيمة السلطان حقا التي أفاضت على من حولها بعد أن ملئت استبدادا وجورا، فانطلقت هذه الثنائية القاتلة وراء الأسوار ودخلت البيوت والأسواق وأصبح الجميع مستبدا في بيته الصغير وفي إطاره الذي يحمله، أيا كان هذا الإطار... فالكمل يريد اتباع خطوات السلطان حتى وإن كان يسكن كوخا من قصب ولا يحمل تحت سلطانه غير كائن مكسور الجناح... فظلم الأول رعيته، وشابهه الثاني فظلم أهله وأسرته، وعانده الثالث فظلم عامله أو عاملته، وظلم الآخر تلاميذه وطلبته.

أم أن المنطلق هي ذواتنا التي حملت "جينات" الاستبداد التي كسبناها بوعي منا لما قرأنا تاريخنا ومقدسنا قراءات مغشوشة بمقاريبات مزيفة أو مسقطه، أو عبر نظارات ضبابية تحمل

## في بيتنا

### استبداد،

### وفي بيتنا مستبد،

### والاستبداد ليس

### جينات تتوارث،

### فلم يظلم الله أحدا

### ولكنه عقلية تبني

### وثقافة تشيد ثم

### تربي عليها أجيال

### وتطعمها وهي ما

### زالت في المهدي..

### من هنا مر

### الاستبداد ومن هنا

### خيبت أئوابه

نبقى حيارى ونقع في لغز أسبقية البيضة على الدجاجة أم العكس ونقع في المحظور من زيف الكلام وترفه، فالاستبداد حالنا الذي نراه في كل همسة ولمسة سواء كانت أعاصيره تخرج من فوهة الكوخ أو نافذة القصر، والاستبداد مرض الشرق بلا منازع، منه انطلق السقوط الحضاري وعبر بوابته نالنا ما نالنا من تخلف واستعمار. رغم أن المقدس الذي نحمله ثري ولا شك بهذه الدعوة والثقافة الملزمة للشورى داخل البيت وخارجه، للحاكم والمحكوم على السواء، حتى وإن تغافل البعض من فقهاءنا فجعلوها شوري إخبارية وأنشؤوا لنا مصطلح المستبد العادل والزوج الحازم.

لقد كان البيت النبوي مدرسة في بناء عقلية الشورى والمراجعة والحوار بين الأزواج، فكم تحدثت عائشة رضي الله عنها عن الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم وهو يتعامل مع زوجاته الفاضلات أمهات المؤمنين بكل رقة ولين وملاطفة وحسن خلق في كل الأحوال... وم روى الأصحاب الكرام رضوان الله عليهم كيف تعامل صلى الله عليه وسلم معهم في أصعب المواقف بكل لين وصفاء وصبر وحكمة وتفهم وإنصاف، وهو الرسول والإمام والقائد، ولعل الموقف في صلح الحديبية يعتبر شاملا جامعاً بين تدخل المرأة وآراء الأصحاب.

فقد مال أغلبهم إلى عدم وعي وفقه موقف الرسول الكريم في القبول بالشروط المجحفة التي طالب بها المشركون في صلح الحديبية فيقول عمر رضي الله

عنه قولته المشهورة "أقبلت الدنيا في ديننا" وتدخل أم سلمة رضي الله عنها على الخط وهي المرأة والزوجة والصحابية، وتنصحه بالتحلل من الإحرام وسيتبعه أصحابه وهو ما فعله صلى الله عليه وسلم وتبعه الجميع وكان صلح الحديبية فتحا للمسلمين.

لقد صدق أحد أميين في قوله الشافي الذي يفتح الباب على مصراعيه "لندوق" حالنا ومألنا سائرا إلى البلاد الشرقية تجد أن المرأة في رق الرجل والرجل في رق الحاكم، فهو ظالم في بيته مظلوم إذا خرج منه!!! لكن من نشأ على الشورى داخل بيته وبين أقرانه لن يقبل بغير الشورى خارج أسوار بيته، ولن يحمل هذه القابلية العجيبة للتأقلم مع وضع الاستبداد ركونا وانسحابا أو مساندة وتبني.

ومن نشأ على الرد والمراجعة والحوارة سيحمل ولا شك نفسا مقاوما وعقلية رفض وبناء سليم وواع، ولن يتورع عن نبذ الاستبداد ومقاومته سلميا والوقوف صلبا أمام تحديات الواقع إذا زاع وانحرف نحو مواطن الطغيان والجور وهو ما لا يريده الاستبداد الظاهر ولا يسعى إلى توطينه حتى لا ينفذ بناؤه وينهار، فعلموا أبناءكم الشورى وهم في البيت صغار يعيشونها في المجتمع وهم كبار.

# الصراع على "هوية الصراع" في المنطقة العربية

الخطر الأكبر الذي يواجه العرب حالياً هو انشغال شعوب المنطقة بصراعاتها الداخلية. فمن رحم هذه الأزمات، في بلدان مثل العراق والصومال والسودان واليمن وفلسطين ولبنان، تتوالد مخاطر سياسية وأمنية عديدة أبرزها الآن مخاطر الصراعات الطائفية والمذهبية والإثنية، إضافة إلى الصراعات السياسية والتنافس على السلطة.

## صبحي غندور

ومع هذه الأزمات، المفتعل بعضها من قوى دولية وإقليمية، تتصاعد الحملة الإسرائيلية لجعل الملف الإيراني هو "الصراع البديل" عن "الصراع العربي/الإسرائيلي" المتواصل منذ عقود، وفي ظل المشروع الإسرائيلي الهادف إلى تقسيم البلاد العربية، بحيث تكون الدولة اليهودية في المنطقة هي الأقوى وهي المهيمنة على الدويلات المتصارعة. وعلى جوار حدود الأرض العربية، تنمو مشاريع إقليمية تستفيد من خطايا السياسة الأمريكية ومن غياب المرجعية العربية ذات المشروع الضامن لمصالح الأمة العربية.

فالصراع على "هوية الصراع" في المنطقة العربية هو جوهر المشكلة السائدة الآن، وهو صراع دولي/إقليمي في إطاره العام الجاري حالياً، لكن يريد البعض تحويله أيضاً في أكثر من مكان إلى صراعات طائفية ومذهبية.

إن ضعف المناعة في الجسد العربي هو ما جعل هذا الجسم قابلاً لاستقبال حالات الأوبئة التي تعشش الآن في خلاياه، وأخطرها وباء الانقسام الطائفي والمذهبي.

ولو لم يكن حال الأمة العربية بهذا المستوى من الوهن والانقسام، لما كان ممكناً أصلاً استباحة بلاد العرب من الجهات الأربع كلها.

هناك ثلاثية متلازمة تقوم عليها الحياة العربية لأكثر من قرن من الزمن، والثلاثية هذه هي "الوطنية والعروبة والدين"، فمنذ مطلع القرن الماضي، وعقب سقوط الدولة العثمانية، رسم البريطانيون والفرنسيون خريطة جديدة للمنطقة العربية قامت

في محصلتها دول وحكومات، ثم تبلور هذا الواقع مع النصف الثاني من القرن العشرين بصورة أوطان لها خصوصياتها الكاملة، يعيش العرب فيها وينتمون إليها كهوية قانونية.

لم يكن القصد البريطاني والفرنسي من رسم الحدود بين أجزاء الأرض العربية مجرد توزيع غنائم بين الإمبراطوريتين الأوروبيتين آنذاك، بدلالة أن البلدان العربية التي خضعت لهيمنة أي منهما تعرضت هي نفسها للتجزئة، لكن الهدف الأول من ذلك كان إحلال هويات محلية بديلاً عن الهوية العربية المشتركة، وإضعاف لكل جزء بانقسامه عن الجزء العربي الآخر.

ورافقت هذه الحقبة الزمنية من النصف الأول من القرن العشرين، محاولات فرض التغريب الثقافي بأشكال مختلفة على عموم البلدان العربية والسعي لزراعة التناقضات بين الهويات الوطنية المستحدثة وبين الهويات الأصيلة فيها كالعروبة الثقافية والإسلام الحضاري، ثم أيضاً بين العروبة والإسلام في أطر الصراعات الفكرية والسياسية.

وقد تميزت الحقبة الزمنية اللاحقة، أي النصف الثاني من القرن العشرين، بطروحات فكرية وبحركات سياسية يغذي بعضها أحياناً المفاهيم الخاطئة عن الوطنية والعروبة والإسلام، أو لا تجد في فكرها الأحادي الجانب أي متسع للهويات الأخرى التي تقوم عليها الأمة العربية، ففي هذه الأمة الآن مزيج مركب من هويات قانونية ووطنية وثقافية عربية وحضارية دينية، وهذا واقع حال ملزم لكل أبناء البلدان العربية حتى لو رفضوا فكرياً الانتماء لكل هذه الهويات أو بعضها.

ربما العرب اليوم هم أحوج ما يكونون لاستيعاب

هذا المزيج من ثلاثية الهوية، فالبلدان العربية تعيش جميعها الآن مخاطر التهديد لوحدها الوطنية كمحصلة للمفاهيم والممارسات الخاطئة لكل من الوطنية والعروبة والدين، وقد عانى العديد من البلدان العربية وما يزال من أزمات تمييز بين المواطنين، أو نتيجة ضعف بناء الدولة الوطنية مما أضعف الولاء الوطني لدى الناس وجعلهم يبحثون عن أطر فئوية بديلة لمفهوم المواطنة الواحدة المشتركة.

أيضاً، اعتقد بعض العرب، خاصة من هم في مواقع الحكم، أن إضعاف الهوية الثقافية العربية أو الانتماء للعروبة بشكل عام، سيؤدي إلى تعزيز الولاء الوطني، لكن كان ذلك كمن أراد إضعاف التيارات السياسية الدينية من خلال الابتعاد عن الدين نفسه، عوضاً عن الطرح السليم للعروبة والدين، وبإفساح المجال أيضاً لحرية التعبير السياسي والفكري لكل التيارات.

إن الفهم الصحيح والممارسة السليمة لكل من "ثلاثية الهوية" في المنطقة العربية (الوطنية والعروبة والدين) يتطلب نبذاً لأسلوب العنف بين أبناء المجتمع الواحد مهما كانت الظروف والأسباب، وما يستدعيه ذلك من توفر أجواء سليمة للحوار الوطني الداخلي، ولتنسيق والتضامن المنشود بين الدول العربية.

إن الدين يدعو إلى التوحد ونبذ الفرقة. إن العروبة تعني التكامل ورفض الانقسام، إن الوطنية هي تجسيد لمعنى المواطنة والوحدة الوطنية، فأين نحن من ذلك كله؟

إن ضعف الولاء الوطني يصحح من خلال المساواة بين المواطنين في الحقوق السياسية والاجتماعية،

وبالمساواة أمام القانون في المجتمع الواحد. كذلك هو الأمر بالنسبة للهوية العربية حيث من الضروري التمييز بينها وبين ممارسات سياسية سيئة جرت من قبل حكومات أو منظمات أساءت للعروبة أولاً وإن كانت تحمل شعاراتها، فالعروبة هي هوية ثقافية جامعة تستوجب تنسيقاً وتضامناً وتكاملاً بين العرب يوحد طاقاتهم ويصون أوطانهم ومجتمعاتهم. أيضاً، إن غياب الفهم الصحيح للدين وللغة المذهبي وللعلاقة مع الآخر أياً كان، هو المناخ المناسب لأي صراع طائفي أو مذهبي يُحوّل ما هو إيجابي قائم على الاختلاف والتعدّد إلى عنف دموي يُناقض جوهر الرّسالات السّمّائية، لكن يحقق غايات الطامحين للسيطرة على الأرض العربية!

فالعرب يدفعون الآن ثمن خطايا كبيرة حدثت خلال العقود الثلاث الماضية في المنطقة، فضلاً عن أنهم الآن بلا بوصلة مرشدة لحركتهم السياسية. والتعامل مع تزايد نفوذ قوى الجوار الإقليمي لا يجب أن يحجب أولوية المخاطر الأخرى المتمثلة بالاحتلال الأجنبي والإسرائيلي، بل تستدعي هذه التحديات كلها تصحيح التوازنات في المنطقة من خلال قيام تضامن عربي شامل وسليم يضع الأسس المتينة للعلاقات بين الدول العربية، وبينها وبين سائر دول الجوار.

إن كثيرين من أبناء الأمة يتشككون الآن من هويتهم العربية وتما هو مشترك بين بلدان هذه الأمة، دون إدراك منهم أن ما هو قائم من وضع سلبي لا يعبر أصلاً عن العروبة نفسها، فالحديث هو عن "أمة عربية" بينما هي أوطان وحكومات متعدّدة، وأحياناً متصارعة، بينما المتعاملون مع هذه الأمة العربية من قوى إقليمية ودولية هم أمم موحدة بكل معاني التوحد أو التكامل السياسي والاجتماعي والاقتصادي والعسكري، فلو أن حال هذه القوى كان شبيهاً بحال العرب الآن، لما استطاعت أصلاً أن تشكل تحدياً أو خطراً على غيرها.

بل امتد في كثير من الأحيان للمساس بالمشاعر والمقدسات الدينية، متمثلة بقذف المصاحف الشريفة على الأرض والدوس عليها وتدنيسها وتزييفها. إن أسرى فلسطين شكلوا دوماً مدرسة في العمل الوجداني الفلسطيني، فهم أكثر من جسد الوحدة الوطنية الحقيقية المنشودة، وحدة الشعب والمقاومة، ووحدة العمل الفلسطيني في مقارعة السجان

وسطوة الاحتلال، فهم بادروا أكثر من مرة لإعلان صوت الوحدة الوطنية في وجه الانقسام ومخاطره. إن أسرى فلسطين يستحقون كل الاهتمام والانتباه، ويستحقون بذل كل الجهود من أجل تحريرهم وإطلاق سراحهم وهم مرفوعو الرأس بعزة وكرامة. ومن هنا تكمن أهمية القيام بحملة تضامن مع قضية الأسرى والمعتقلين الفلسطينيين والعرب في السجون الإسرائيلية، والعمل لدى جميع المؤسسات الدولية السياسية والقانونية والحقوقية من أجل فرض إطلاق سراحهم دون قيد أو شرط.

وفي هذا السياق، يقع على عاتق اللجنة الدولية للصليب الأحمر والأمم المتحدة وجميع المؤسسات الدولية والإنسانية ضرورة التدخل المباشر لدى قوات الاحتلال الإسرائيلي لضمان تطبيق اتفاقية جنيف على الأسرى ومعاملتهم كأسرى حرب، والعمل على إجبار إسرائيل على إطلاق سراح كافة الأسرى والمعتقلين الفلسطينيين والعرب من معتقلاتها.

إن ملف الأسرى قضية هامة وحيوية، لا تقل أهمية عن سائر المواضيع التي يفترض أن يهتم بها، كما أن سلطات الاحتلال تسعى في سياق آخر إلى تجريد قضية الأسرى من مرجعياتها السياسية والقانونية وتحاول أن تحتكر هذا الملف لصالح رؤيتها وشروطها العنصرية وتجاهل وجود شريك فلسطيني، مع عدم الاعتراف بالمعتقلين الفلسطينيين كأسرى حرب، وما يشكله من انتهاك للقانون الدولي المتعلق بأسرى الحرب، ومن ضرب لقرارات الشرعية الدولية المتضمنة حماية المدنيين في المناطق المحتلة.

## صوت الضمير في سجون الاحتلال

### علي بدوان

يحيى الفلسطينيون في شهر نيسان من كل عام، فعاليات يوم الأسير الفلسطيني، حيث يتابع الشعب الفلسطيني في فلسطين والشتات إحياء هذا أسبوع الأسير بأفئدته التي تدق وتدق فيهما الدماء وهي تحمل العزيمة والإصرار من أجل العمل على تحريرهم وإطلاقهم من سجون الاحتلال، كما وعيونهم شاحصة نحوه بكل تقدير واحترام، فهم كبرياء الشعب وفخاره وعزته وكرامته وصناعات الطريق نحو فلسطين، إن الوقائع تشير إلى أن أكثر من (800) ألف فلسطيني من أبناء فلسطين في الأراضي المحتلة عام 1967 في الضفة الغربية والقدس وقطاع غزة قد تعرضوا للاعتقال والتوقيف منذ عام 1967 وحتى اللحظة. واليوم يقبع أحد عشر ألفاً ومئة وتسعة أسرى في سجون الاحتلال، منهم حوالي (800) من قطاع غزة، و(500) من القدس والأراضي المحتلة عام 1948، والباقي من الضفة الغربية المحتلة، كما يبلغ عدد المعتقلين من الأطفال حوالي (400)، و(33) معتقل، و(16) نائباً من أعضاء المجلس التشريعي، وبضع مئات من الأسرى العرب الذين التحقوا بصنوف المقاومة في فلسطين.

ومن بين الأسرى يقبع الآن في معتقلات الاحتلال (313) أسيراً ممن تجاوزت سنوات اعتقالهم الثلاثين عاماً وعلى رأسهم الأسير نائل البرغوثي، إضافة للمئات من القيادات الميدانية والسياسية، وفي مقدمتهم الأسير يحيى السنوار الذي وضعته سلطات الاحتلال من جديد في العزل الانفرادي. والأمين العام للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين أحمد سعدي، وبعض قادة تنظيم حركة سفتح" في

الضفة الغربية كمروان البرغوثي، وقد استشهد خلال تلك السنوات (200) أسير فلسطيني داخل المعتقلات الصهيونية.

ويتوزع الأسرى على سجون الاحتلال بواقع (1905) أسرى في سجن النقب، و(2000) أسير في سجن مجدو، و(1860) أسيراً في سجن عوفر، و(1870) أسيراً في سجن نفحة، و(1500) أسير في سجن ريمون، و(920) أسيراً في سجن عسقلان، و(650) أسيراً في سجن هداريم، و(360) أسيراً في سجن بئر السبع، و(362) أسيراً في سجن جلبوع، و(400) سجين في سجن شطه، و(45) أسيراً في سجن مشفى الرملة، و(200) أسير في سجن الرامون، و(37) أسيراً في سجن تلmond وهشارون. ومن المعلوم بأن هناك أعداداً كبيرة من الأسرى يعانون من أمراض خطيرة جراء انعدام الرعاية الصحية والطبية وسوء التغذية، كما يعاني قرابة ألف أسير منهم من حالات مرضية خطيرة تحتاج إلى علاج طارئ وعمليات جراحية عاجلة، فضلاً عن المئات من الأسرى الذين يعانون من الأمراض المزمنة ومضاعفاتها الخطيرة على حياتهم.

وفي هذا السياق، إن عمليات قمع الأسرى داخل السجون والمعتقلات على يد جيش الاحتلال وقواته الأمنية تواصلت بشكل مستمر، بل وتساعدت في الأعوام الأخيرة بشكل ملحوظ، لكنها سجلت ارتفاعاً لم يسبق له مثيل منذ عام 2007 تزامناً مع قدوم مدير مصلحة السجون الجديد بيني كيناك. ومؤخراً استخدمت قوات الاحتلال وحدات "نخشون" و"ميتسادا" في قمع الأسرى الفلسطينيين منذ سنوات، وهما وحدتان اللتان

استخدمتهما في اقتحام بعض أقسام سجن "عوفر" خصوصاً قسم "الوحدة الوطنية" كجزء من سلسلة انتهاكات طويلة لحقوق الأسرى التي تصنف وفقاً للقانون الدولي على أنها جرائم حرب. ولا يوجد اختلاف بين عناصر "ميتسادا" أو "نخشون" من حيث التدريب والتسليح وحتى المهام والأهداف، وإن كانت الأخيرة قد شكلت لقمع المعتقلين بينما الأولى وظيفتها إنقاذ محتجزين، إلا أن الودعتين قد استخدمتا لقمع المعتقلين، وأفرادهما مزودون بأحدث الأسلحة لقمع إرادة الأسرى العزل. إن وحدة "نخشون" تعتبر من أكبر الوحدات العسكرية في جيش الاحتلال، وشكلت خصيصاً حسبما هو معلن لإحكام السيطرة على السجون عبر مكافحة ما يسمى بأعمال السالغيبط داخلها، وهذه الوحدات الخاصة ترتدي زياً مميزاً كتب عليه أمن السجون.

ومن المعروف بأن تلك الودعتين القمعيّتين مزودتان برصاص حي تستخدمه في قمع الأسرى، وقد أصاب رصاصهما في إحدى حملاتها القمعية الشهيد محمد الأشقر، وهي ليست المرة الأولى التي يستشهد فيها أسير نتيجة لإصابته برصاص حي. إذ سبق وأن استشهد سبعة من الأسرى نتيجة إصابتهم بأعيرة نارية من قبل الجيش أو الوحدات الخاصة ومنهم الأسيران أسعد الشورا وعلي السمودي اللذان استشهدا في معتقل النقب في 16 آب (أغسطس) عام 1988 برصاص جنود الحراسة المدججين بالسلاح.

إن جرائم وحدات "نخشون" لم تقتصر على القمع والضرب والإيذاء المعنوي والجسدي ضد الأسرى،